مناقشات

ابحاث العدد السابق (١)

بقلم جلال السيد

منذ هدوان ٥ يونيو وكتابات بعض المثقفين تتسم بطابع اليأس والاستسلام ، وقد فقد البعض توازنه النفسي والعقلي في بعض الاحيان ، وظهر فلاسفة جدد يفلسفون الهزيمة ويبررون وقوعها ويشكون في كل شيء ، حتى في وجود الامة العربية . بدلا من ان يساهموا مع الشعب العربي ويقفوا معه في صموده واستعداده لمعركة اخرى ، فمنذ الايام الاولى للعدوان وبعد الهزيمة ادرك الشعب العربي في كل مكان الابعاد الحقيقية لما حدث ، والاهداف الرئيسية للعدوان ، وكان تحركه يوم ٩ يونيو وتمسكه بعبد الناصر دليلا على وعيه وادراكه للموقف . ومع ان الهزيمة العسكرية قد هزت كيان الامة العربية فان الشعب لم يفقد اتجاهه ولم يفقد صوابه ولم يتشكك لحظة في قدرته على ردع العدوان ، وكانت المقاومة الفلسطينية الباسلة دليلا على قدرات الشعب العربي ، واعطت الدليل العملي للمتشككين ودعاة الانهزامية ، واحيت روح الشعب وبطولاته وتاريخه وتراثه الذي خلفه الشعب على ممر العصور . واذا كان الشعب العربي – رغم آلامه وجراحه – قد ادرك ان هزيمة ٥ يونيو ليست سوى هزيمة عسكرية ، فقد كان المثقفون اكثر القوى تأثرا بما حدث ، فصور البعض الموقف على انه النهاية ولا امل ، واخذ البعض يعيد النظر في كل شيء ، واحس البعض بالذنب فغير فكره ولون كتاباته وانتاجه على ضوء الموقف الجديد . والبعض اخلى مسئوليته تماما وكانه لا يمت بصلة الى هذا الشعب ، وراح يوزع الاتهامات يمينا ويسارا ، على التاريخ والثقافة والتراث وكل شيء ، والبعض لعن كل شيء – مستثنيا نفسه – لانه اخرج نفسه من الدائرة التي يصب فيها جام غضبه ، ولم يمنع كل ذلك ان ظل بعض المثقفين مؤمنين بالجماهير وبافكارهم وتاريخهم وتراثهم العربي – الذي اصبح مجالا للسخرية والاتهام من بعض المثقفين – ، ولم يكن هذا غريبا من المثقفين ، فهم في معظم الاحيان ينتقلون من موقع الى اخر وتختلف انتماءاتهم في كل فترة زمنية ، وبحكم وضعهم من انهم لا يمثلون مصلحة واحدة فتختلف مواقفهم طبقا لانتماآتهم ، كما ان الذاتية تغلب على تصرفات البعض منهم ، وتحكم موقفه .

فمما لا شك فيه ان المثقفين كقوى اجتماعية تلعب دورا هاما في تطور المجتمع ، والمثقفون العرب لعبوا دورا هاما في تاريخ الحركات الوطنية في العالم العربي ، وهذا لم يمنع ان وقف بعضهم ضد قضايا بلاده ، كما تقسموا شيعا واحزابا حول مبادىء وحركات واحزاب يمينية ويسارية وفاشستية ، كل يؤمن بما يعتقد انه الصواب – من وجهة نظره – ولم يكن هذا في السياسة فقط ، بل كان الشيء نفسه بالنسبة للثقافة والادب .

وكنت اتصور انه بدلا من اتهام الثقافة والتراث العربي ، ان يعيد بعض المثقفين النظر في كتاباتهم وآرائهم واسلوبهم فقد كنا ضحايا بعض المثقفين الذين كانوا يستخدمون كليشهات بلا معنى ومصطلحات بلا دلالة ، يغرقهم التلاعب بالالفاظ والقضايا ويهمهم الغموض في الاسلوب وتعقيده كلما امكن ، حتى اصبح هذا الموقف هدفا في ذاته .

والحديث عن المثقفين – وخاصة بعد النكسة – يستحق مناقشات عديدة ، ليس هذا مجال تفاصيلها ، فلنعد الى ابحاث العدد الماضي من الآداب .

---

(١) تأخر وصول هذا المقال الذي كان المفروض ان ينشر في العدد الماضي . ولكننا رأينا مع ذلك ان ننشره هنا (التحرير) .

فتحت عنوان « قضايا الادب والادباء » – الرئيس عبد الناصر والثقافة – نشرت الآداب اهم المقاطع التي وردت في مقالين للشاعر ادونيس في جريدة « لسان الحال » ، ولم نستطع ان نقرأ المقالين كاملين في « لسان الحال » ولذلك ستكون المناقشة حول ما جاءت به الآداب .

والشاعر ادونيس يثير قضايا هامة بلا شك عن الثقافة والسياسة ومشاركة جميع المثقفين الثوريين . وقد استخلص بعض المبادىء عن الثقافة والمثقفين . ولم استطع ان افهم ما جاء في المبدأ الثاني من « انه لا يجوز ان ننظر الى الفكر من حيث انه اجتهاد ووجهة نظر . الفكر لا يخون ، انه يبحث ويجتهد فيخطىء او يصيب . الانسان ، كذلك ، من حيث هو مفكر ، لا يخون . انه يبحث ويجتهد فيخطىء او يصيب ، ان مفهوم الخيانة مرتبط بالقانون ، انه مرتبط بالعمل لا بالفكر » . ولم افهم معنى « الفكر لا يخون » ، و « الانسان كذلك من حيث هو مفكر لا يخون » ، « ان مفهوم الخيانة مرتبط بالقانون،انه مرتبط بالعمل ، لا بالفكر » ، اليس الفكر تحريضا على العمل ؟ ونرى الشاعر ادونيس لا يفرق بين المثقف الثوري والمثقف الرجعي ، بل لقد جعل في مبدئه الثالث « أن المثقفين طليعة القيادة » فأي مثقفين هؤلاء ؟

والمبدأ الرابع « ان المفكر العربي ليس ملتزما بالنظام او الحزب او الدولة وانما هو ملتزم بالارتقاء بالمجتمع وبالارتقاء بالحياة » . اي انه ملتزم بالحرية والثورة ، وبذلك جعل الشاعر ادونيس المفكر فوق كل شيء ، فوق النظام والحزب والدولة ، ونتساءل من الذي يحمي المفكر من الانزلاق او الانحراف عن التزامه هذا ، وما هو مفهوم الحرية والثورة الذي يلتزم به المفكر العربي ؟ وهل ذات المفكر هي الضمان لالتزامه ؟ وتحت هيمنة اي فكر يجب ان يظل النظام او الحزب ؟ اذا كنا نتفق مع الشاعر في المناخ من النقد المستمر والابداع المستمر ، فعلينا تحديد نوعية الفكر ومدى ارتباطه بقضايا الانسان العربي،فليس اي فكر يخدم قضيته ، بل هناك فكر يخون هذه القضايا .

ويرى الشاعر ادونيس ان ما يشل ثوريتنا انما هو ارتباطنا الطفولي بعصمة التراث ، وان الثقافة الثورية الحقيقية هي الثقافة التي تنبع من المستقبل وامكاناته ، الثقافة التي تدفع الانسان في اتجاه المستقبل تحرره من الخضوع للماضي .

ونحن لا نرى التمسك والارتباط بالتراث بشكل مطلق ، ولكن نرى ان تراثنا العربي يحمل بين طياته ما هو ايجابي وسلبي . وعلينا دراسته وتحليله والاستفادة من ايجابياته ليكون سندا في انطلاقنا نحو المستقبل ، اذ كيف تنبع الثقافة من المستقبل فقط ، دون ان يكون هناك ترابط بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وهذا لا يجعلنا نتشبث بالماضي – من اجل الماضي – ولكن لتأصيل ثقافتنا من خلال ايجابياتها في الماضي والحاضر حتى نستطيع التطلع الى المستقبل ، وحتى لا تكون ثقافتنا بلا جذور . وهذا لا يمنع ان نتفق مع الشاعر ادونيس في ان المؤسسات التربوية والثقافية تفهم التراث فهما خاطئا ، لا تفرق بين ايجابياته وسلبياته ، ولكن هذا لا يجعلنا نتنكر لتراثنا برمته ، كما اننا لا نقول باحياء التراث بكل ما فيه ، بل ننتقي منه ما يخدم مستقبلنا ويعمق اصوله ، وليس في هذا بدعة ، فجميع الشعوب نظرت الى تراثها من الوجهة التي خدمت بها مستقبلها ، ولم يحدث ان تجاهلت امة من الامم تراثها ، لان معنى هذا انها ستبدأ من الصفر وتعيش في فراغ .

اما القضية الاخيرة التي يثيرها الشاعر ادونيس فهي « ان

جماهيرنا العربية ليست في مستوى الثورة » ، و « ان الثورات في التاريخ كله لم يحلم ولم يفكر بها الجمهور ، بل المثقفون ، لكن الثورات في التاريخ كله لم تتحقق بقوة المثقفين بل بقوة الجماهير ».

والحكم على الجماهير العربية بأنها ليست في مستوى الثورة حكم مرفوض تماما ، ولا يحتاج الى تدليل ، واذا كان هناك تخلف عن مستوى الثورة فنلاحظه عند بعض المثقفين المعزولين عن الجماهير والذين يحكمون على الموقف من وجهة نظرهم وبمفهوماتهم فقط ، وقد عاد الشاعر ليجعل المثقفين هم الذين يحلمون بالثورة ويفكرون فيها وليس الجمهور ، المثقفون هم النخبة الممتازة والقوة المبدعة ، فوق كل شيء ويفكرون في كل شيء ، وليس الجمهور ، ونتساءل من اين جاء المثقفون باحلامهم وافكارهم عن الثورات في التاريخ ، هل هي مجرد اختراعات ؟ ام ان حركة الجماهير ـ ومن بينها ـ المثقفين الذين ارتبطوا بها واحسوا بحركتها فبلوروا افكار الجماهير نحو الثورة التي حققها ويحققها الجمهور ؟ والا لماذا لم تتحقق الثورات بقوة المثقفين ، الذين حلموا وفكروا في الثورات ؟

ان الشاعر ادونيس يصر دائما ان يجعل من المثقفين قوة فوق كل شيء ، فوق الحزب والدولة والنظام والجمهور . ونحن لا نفصل بين المثقفين الثوريين والجمهور . اما الذين يتحدث عنهم الشاعر فلا ندري اي نوع من المثقفين ، ولماذا الاصرار أن يكونوا فئة متميزة ، تفعل ما تريد ولا يحاسبها احد ومسئولياتها هي التزامها الذاتي فقط ؟

وكما حدد الشاعر ادونيس « مثقفين » في ذهنه ، فقد فعل الشيء نفسه الاستاذ محيي الدين اسماعيل وباصرار منذ عدد مارس الماضي من الآداب حيث حدد ـ كما يرى هو ـ ثقافتنا المعاصرة ، وحدد ايضا المثقفين العرب ، وكانت اتهاماته ، فقد كتب منذ مارس : « اني اتهم .. ثقافتنا المعاصرة » ، لماذا اتهم ثقافتنا المعاصرة ، واخيرا في العدد الماضي ، « .. واتهم ثقافتنا المعاصرة » .

الاستاذ محيي الدين اسماعيل يقول : اني اتهم ثقافتنا المعاصرة بالحيرة والتخلف وانعدام الخصائص الذاتية وفقدان القدرة على عناق قضايانا الكبرى . لقد ولدت حركتنا الثقافية المعاصرة وفي صميمها جميع موجبات نفيها والغائها .

والمثقف العربي اليوم يواجه عصرا من الحيرة العميقة لا كحيرته بالامس ، انها حيرة آمادها الوجود باسره ، حيرة تنبع من مواجهة صارمة للوجود والحياة والعالم على حين غرة ، ودون ان يستعد لها باخصاب حقيقي جدي للذات ، يجعله قادرا على الالتزام بتبعات مغامرات فكرية وروحية شهمة جسورة يستطيع ان يشعر بها تاريخ المستقبل .

ان الحيرة والتخلف في الحركة الثقافية العربية المعاصرة ينسحبان على جميع مجالاتها ، بل على جميع احتمالاتها وما يمكن ان يصدر عنها . وفي مقال مايو يقول الاستاذ محيي الدين اسماعيل : «ان المثقف العربي اديبا ومفكرا ، لم يبحث ، حتى في قمة عهود التوتر والمحن والالام ، عن نفسه وعن تاريخه ، بقدر ما كان يبحث عن كل ما هو ضد نفسه وضد تاريخه . ان مثقفنا لم يمارس الالتزام ازاء الواقع والتاريخ ، بل تحدث عن الالتزام كثيرا ، لانه سمع ان اناسا آخرين في عالم آخر قد تحدثوا عن الالتزام » .

واذا كان الاستاذ محيي الدين اسماعيل في مقاليه السابقين غلب عليه الطابع الانفعالي وتوزيع الاتهامات ، فقد جاء في المقال الاخير في العدد الماضي بعض الافكار التي تناقش وان كان الخط العام هو اتهام الثقافة المعاصرة . وحين أراد ان يدلل على فكرته اعتمد على افكار الدكتور جميل صليبا ، ومحاولات الدكتور بدوي ، واعطى احكامه العامة من خلال هذين المفكرين العربيين ، وعاد الى ما جاء في مقاليه السابقين من ان حركتنا الثقافية المعاصرة لم تستطع ان ترتفع الى مستوى التأثر الاصيل بالافكار الكبرى للحضارات العظيمة من قديمة وحديثة .

ولن نناقش ما جاء من افكار حول الحضارات القديمة ، لكن الذي يهمنا ما جاء عن الحركة الثقافية المعاصرة ، والمثقف العربي ، والحقيقة ان المثقف العربي يواجه حيرة عميقة ، لكن في هذه المرة ليس كما يرى الاستاذ محيي الدين اسماعيل ، لانه نفسه هو سبب الحيرة مما يكتبه وما كتبه ، سواء عن الثقافة ، او المثقف العربي او الالتزام ، ونحن لن نتبع جميع كتاباته وافكاره بل سنعطي بعض الامثلة فقط ، لنرى لمن يكون الاتهام الذي يقيمه الاستاذ محيي الدين اسماعيل .

ففي مجلة الآداب وفي عدد يناير ١٩٦٠ كتب الاستاذ محيي الدين اسماعيل في مقاله عن « ملامح الادب الثوري في العراق » ما يلي : « على ان الحقيقة التي نستطيع ان نتبينها من خلال دراستنا للادب العربي المعاصر في العراق ، هي هذا الالتزام الصارم الذي آخذ الاديب العراقي به نفسه ، والذي تحول فيما بعد الى تمرد او ضرب من النزوع الثوري الذي يتخذ شكل توقع حينا وشكل قوة دافعة حينا اخر ، وشكل رغبة في قلب المجتمع بما فيه من اوضار واوجاع واوصاب في معظم الاحيان . والمعركة التي بدأ تمثيلها الادب العربي في العراق هي معركة صون الحضارة العربية وثابات الشخصية العربية ـ الانسانية التي افاقت اليوم ورفضت قطعا ان تلقي من شاهقها على شاطىء القرون . وهذه الحقيقة بالذات هي التي جهلها الكتاب الغربيون ؟ » .

وجاء في المقال نفسه : « أما طليعة الادباء الثوريين فقد بدأوا يحاولون باسلوب وبآخر التعبير عن ثورة متصاعدة عميقة حية وعن كفاح من اجل ارفع القيم الحضارية » .

وفي عدد الاداب ـ فبراير ١٩٦٢ ـ كتب الاستاذ محيي الدين اسماعيل حول كتاب «القومية والوحدة . عقيدة المثقف العربي الثوري » يقول : « ان الحركة العربية الثورية التي آضرمها المثقف العربي الثوري تؤمن بتطور المجتمع تطورا تصاعديا بالمعنى الثوري ، فهي ترفض رفضا قاطعا النظريات التي تحاول ان تشد بالانسان الى الوراء ، كما انها ترفض رفضا جوهريا حركة التاريخ بشكل حلزوني في اطار التشابه والتماثل بين العصور » .

على ضوء هذا كيف نناقش افكار الاستاذ محيي الدين اسماعيل، هل تغيرت الامور وتبدلت الاحكام ، « فالالتزام الصارم الذي اخذ الاديب العراقي به نفسه » نراه اليوم « ان مثقفنا لم يمارس الالتزام، بل تحدث عن الالتزام كثيرا لانه سمع ان اناسا اخرين في عالم اخر قد تحدثوا عن الالتزام » . هل اصبحت هذه وجهة نظر الاستاذ محيي الدين اسماعيل في ثقافتنا المعاصرة ، وهل اصبحت القضية ان يسارع بعض المثقفين فيلقي الاتهامات ـ بعد النكسة ـ على ما يريد حتى بلغ الاتهام الثقافة المعاصرة ؟ ان بعض المثقفين في حاجة الى الصدق مع انفسهم وافكارهم وتحديدها في وضوح بدلا من القاء الاتهامات والمباراة حول تحميل النكسة كل شيء بما فيها اخطاء بعض المثقفين انفسهم .

وقد جاء مقال الاستاذ عبد اللطيف شرارة عن « الثقافة بين الفكر والغاية » ردا على بعض ما جاء في مقال الاستاذ محيي الدين اسماعيل ، فقد حاول ان يحدد دور المثقف ووظيفته ، وانه اذا كانت الطبقة المثقفة في ديار العرب تجتاز اليوم مرحلة بلبلة ، فهذا شأن المثقفين عامة ـ اليوم ـ في انحاء العالم ، وحاول ـ جادا ـ ان يبحث عن اسباب هذه البلبلة وتأثير الثقافات الاوروبية على الثقافة العربية، الا انه يختلف مع ما جاء في مقالات الاستاذ محيي الدين اسماعيل فيرى : « الا ان شيئا من كل ما حدث لا يبعث على اليأس ، والشعور بالخيبة حافز ، او ينبغي ان يكون حافزا ، لاعادة النظر في الاخطاء التاريخية ووقف ما نجم عنها من تيارات ومعاودة الكفاح الثقافي على ارض اثبت وبندر اسطع ، انطلاقا من افكار اصح نحو غايات اسمى وانبل ، واهتم الاستاذ عبد اللطيف شرارة اهتماما خاصا بدور الثقافة الاخلاقي ، وان كان هناك تعميم في بعض الافكار ، ووضع المفكرين في موقف واحد رغم اختلافهم ووجهات نظرهم وفصله الغاية عن الفكرة .

وفي مقال « الحزن في اغنية الشعبية الفلسطينية » للاستاذ نمر سرحان ، لم يستطع الكاتب ان يدلل على فكرته من خلال النماذج التي قدمها ولم تخدم المقدمة التاريخية فكرته بل جاءت متناقضة احيانا مع ما اراد ان يثبته . والحقيقة ان الحديث عن ظاهرة الحزن في الاغنية الشعبية الفلسطينية منفصلة عن واقع الاغنية الشعبية الفلسطينية لا يعطي صورة حقيقية للاغنية الشعبية ولم نستطع ان نفهم من خلالها الادب الشعبي الفلسطيني حيث انه جزء لا يتجزأ وقد كان الاولى اعطاء صورة عن هذا الادب بشكل عام ، ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن الحزن او روح المقاومة في الاغنية الشعبية الفلسطينية .

وتحت عنوان شخصيا من ادب المقاومة ـ فهمي عبد الجواد ـ كتب الاستاذ سامي خشبة ، دراسة لشخصية فهمي عبد الجواد ، احد شخصيات « بين القصرين » للاديب الكبير نجيب محفوظ .

ومن البداية لاحظ الاستاذ سامي خشبة انه من الصعب انتزاع شخصية واحدة بمعزل عن بقية الشخصيات ولكنه تمادى في الحديث عن شخصيات اخرى خارج بين القصرين مثل شخصية « كمال عبد الجواد » التي تتضح شخصيته في « قصر الشوق » و « السكرية » ولكن ذلك افاده في توضيح شخصية فهمي بمقارنته المستمرة بكمال، وبذلك استطاع ان يعطي تحليلا متماسكا لشخصية فهمي وربطه بواقعنا ـ في تلك المرحلة التاريخية ، ووضح امورا عديدة لا يستطيع العمل الفني ـ الروائي ـ توضيحها ، ومع اتفاقنا في معظم تحليل الاستاذ سامي في ما جاء في دراسته لفهمي عبد الجواد الا اننا نختلف معه في بعض القضايا والتحليل لبعض المواقف .

فهو يقول : « وحينما كان شيوخ الازهر هم قادة المقاومة الفكرية، فانما كانوا يحصلون على هذه القيادة لانهم كانوا ايضا قادة المقاومة الاجتماعية والسياسية الوطنية ، يقودونها بمفردهم حتى اوائل القرن التاسع عشر ويشتركون في قيادتها في اواخره » . ونحن نختلف معه في هذا الحكم ، دون ان نقلل من دور شيوخ الازهر في ما اذا كانوا قادوا المقاومة الفكرية ، فلم يكونوا قادة المقاومة الاجتماعية ـ هذا باستثناء بعض المواقف الخاصة جدا ـ ونسي الاستاذ سامي ان شيوخ الازهر كانت لهم مواقف متناقضة عديدة ، بينهم وبين انفسهم، وبينهم وبين الجماهير الشعبية . وسنعطي بعض الامثلة فقط : قامت المقاومة الشعبية ضد الحكم الفرنسي في مصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) بثورتين قام بهما « اولاد البلد من الحسينية والعطوف وباب الشعرية وبولاق وخان الخليل وفتوات الاخطاط والحارات هم الذين نظموا انفسهم ووضعوا الخطة واشتروا السلاح وسرقوه من الفرنسيين » . وظهر اسم « المحروقي » في الثورة الثانية ولم يظهر اي اسم من شيوخ الازهر ، اكثر من هذا . ماذا كان موقف الجماهير الشعبية من شيوخ الازهر اثناء الثورة ؟ فقد قاومت القاهرة ببسالة ، واقام اهلها الحصون المنيعة في بولاق ومصر القديمة ، وحين اشتد ضرب الفرنسيين للقاهرة بالقنابل ومنعوا عنها التموين خرج بعض المشايخ لمفاوضة الفرنسيين في امر التسليم وعادوا للقاهرة يبشرون بانباء المفاوضة بعد اتفاقهم مع كليبر ثم عادوا الى رجال الثورة يحدثونهم بمطالب كليبر ، ولكنهم وجدوا عند رجال الثورة ما لم يخطر ببال فقد قابلوهم اسوأ مقابلة واغلظوا عليهم واهانوهم ، و « قاموا عليهم وسبوهم وشتموهم وضربوا الشرقاوي والسرس ورموا عمائمهم واسمعوهم قبيح الكلام ، وصاروا يقولون هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين ، وانهم اخذوا دراهم الفرنسيس » .

وفي الجبرتي امثلة عديدة على موقف بعض شيوخ الازهر وجمعهم للمال وامور اخرى تجعلهم بعيدين كل البعد آن يكونوا قادة المقاومة الاجتماعية والسياسية الوطنية ، والمتتبع لموقفهم ايام الحكم الفرنسي وايام محمد علي ووشاية بعضهم بالسيد عمر مكرم يجعلنا لا نوافق على حكم الاستاذ سامي خشبة عن بعض شيوخ الازهر .

ويضع الاستاذ سامي تساؤلا « ما الذي دفع فهمي الى الثورة ؟ يخيل الي انه لا بد قبل الاجابة على هذا السؤال ان نطرح سؤالا اخر اكثر شمولا : ما الذي اشعل الثورة نفسها في رواية نجيب محفوظ؟ لقد سارت تجارة السيد عبد الجواد على خير حال فلم يمسها ضرر». ونرى ان هناك بعض الدوافع من خلال السيد احمد عبد الجواد نفسه فهو يحمل على ارتفاع الاسعار واختفاء المواد الضرورية بسبب الحرب التي تطحن عياله منذ ثلاث سنوات ويلعن جنود الاحتلال الذين يسلبون الناس متاعهم ، ربما لا تشعل هذه الاسباب ثورة ولكنها تلميحات هنا وهناك في رواية « بين القصرين » في حدود العمل الفني . وقد كنت اود ان يتسع مقال الاستاذ سامي لبعض الاشارات عن الحزب الوطني، فقد كان هذا يوضح له شخصية فهمي ، بتناقضاتها ورومانتيكيتها الثورية ، حيث ارى ان شخصية فهمي تنعكاس لطبيعة الحزب الوطني وافكاره المتشددة والمتناقضة ، واذا كنت اتفق معه على دلالة موت فهمي تتجسيد لنهاية الثورة بالصورة التي وضعتها الطبقات العليا ، فاني اضيف الى ذلك دلالة اخرى وهي انتهاء دور الحزب الوطني في تاريخ الحركة الوطنية الذي التم جزء منه تحت قيادة سعد والوفد وبقي جزء اخر لم يلعب اي دور في تاريخنا اللهم سوى ائتلافه مع احزاب الاقلية والقصر .

وفي مقال « فكر الريحاني السياسي » للاستاذ احمد ماضي ، نجد محاولة ذكية لبعض الجوانب الايجابية في فلسفة الريحاني ، وقد كتب المقال بهدا الهدف ، وكنت اتصور ان يعرض الكاتب افكار الريحاني متكاملة ايجابها وسلبها ، ثم يقيم اتجاهه الفكري من خلال انتاجه الكامل وظروف عصره ، دون ان يحمل افكاره اكثر مما تحتمل، وقد جاء المقال عرضا للصراع الاجتماعي على ممر العصور اكثر من تقديم افكار الريحاني . واذا كان المقال عموما كتب بفكر تقدمي وفهم سليم للصراع الاجتماعي ، الا ان محاولة وضع افكار الريحاني داخل اطار اشتراكي باعطاء مثل من هنا واخر من هناك لم يكن موفقا . ومع ذلك فالامثلة غير مقنعة ، فليس من المعقول مثلا ان تتحدد ثورية الريحاني بما كتبه عن الاتحاد السوفياتي وما جاء في المقال . والملاحظ من خلال المقال ان افكار الريحاني مزيج من الفكر الليبرالي والاصلاحي ولا يتحمل اكثر من ذلك في أحسن حالاته . ونحن هنا نحكم من خلال المقال ، فمثلا يقول الكاتب : « ان المشكلة الاولى هي عدالة التوزيع والقضاء على التخمة بين اقوام جياع ، لذلك كان يقول : « متى يستريح القلة من التخمة ويأمن الجمهور من الجوع ». وامثلة عديدة اخرى .

وفي مقال الاستاذ احمد محمد عطية عن « القصة والانسان في ليبيا » نرى محاولة جادة ـ رغم قلة المصادر ـ التي اعتمد عليها الكاتب ، ولكنها دراسة مفيدة وممتعة ، وذلك لقلة معلوماتنا عن الحياة الادبية والفنية في ليبيا ، حيث تعيش في عزلة تكاد تكون تامة ، ونحن ندرك الظروف التي يعيشها المثقف الليبي ومعاناته من التخلف المحيط به ، وقد بذل الكاتب جهدا في ربط التاريخ الليبي واثره على الشخصية الليبية كمقدمة لدراسة القصة الليبية ولكن ـ من خلال المقال ـ احسست بالفرق الشاسع بين الواقع الليبي وعدم تمثل القصاصين لهذا الواقع رغم المحاولات التي بذلوها . ولم يفسر لنا الكاتب ، لماذا ظلت الحياة الادبية على حالها من السوء ، ونحن لا ننكر الدور الاستعماري ، ولكن نعلم ان الخلق الفني والادبي من الممكن ان يتم تحت اي ظرف حتى تحت وطأة الاحتلال ، ولم نعرف وضع القصة بالنسبة للفنون الاخرى ، والغريب ان الكاتب قد اعتمد كتاب معنى الكيان » لعبد الله القويري ، في مقال عن القصة ، ولم يحدثنا عن هذا القصاص الليبي ومجموعات قصصه المتعددة .

وقبل ان انهي تعليقي على ابحاث العدد الماضي لا يسعني الا ان احيي مجلة « الاداب » لاهتمامها بمنظمة « فتح » والتي جعلت قصيدة الشاعر نزار قباني افتتاحية للعدد الماضي ، وارجو ان تهتم المجلة بدراسات عن القضية الفلسطينية والمقاومة الباسلة الفلسطينية وخاصة منظمة « فتح » ، التي تخوض اشرف معركة في اقسى ظروف . فتحية لرجال المقاومة العربية الفلسطينية ، وللشهداء الابطال الذين قدموا

حياتهم من اجل الوطن العربي والتاريخ العربي والتراث العربي وفلسطين العربية .

القاهرة — جلال السيد

ثلاثية نزار قباني

بقلم شهيد الحديثي

بعد صدور قصيدة « فتح » لنزار قباني بدأ وكان نزار قد تراجع عن موقفه في قصيدة « هوامش على دفتر النكسة » حتى ان أحد الشعراء نشر قصيدة في احدى المجلات تحت عنوان « الى الشاعر الذي استيقظ أخيراً واهداها الى نزار قباني .

وفي رأيي ان هذا الموقف من نزار يعود خطأ في تفهم الشاعر وطبيعة تصوره للامور . فقصيدة « فتح » ليست الا اللمسات الاخيرة للصورة التي ارتسمت في مخيلة نزار للواقع العربي من خلال النكسة ، وقد ظهرت الملامح الاولى لهذه الصورة عنيفة متطرفة في قصيدة « هوامش » التي جسدت كل ما في الواقع العربي من سلبيات دون الاشارة الى جانب ايجابي ممكن لهذا الجيل الذي حمله الشاعر مسؤولية النكسة أن يفعله ، وهكذا بدأت ملامح الصورة الاولى قاسية مؤلمة فظة حتى في الفاظها :

انعي لكم يا أصدقائي اللغة القديمه
والكتب القديمه
انعي لكم كلامنا المثقوب كالاحذية القديمه
ومفردات العهر والهجاء والشتيمه
انعي لكم .. انعي لكم
نهاية الفكر الذي قاد الى الهزيمه

ومن هذا يظهر ان نزار حمل الفكر مسؤولية العجز بل مسؤولية الهزيمة .

وفي المقاطع الاخرى كشف نزار الكثير من السلبيات التي تراكمت على الواقع السياسي والاجتماعي والفكري في الوطن العربي كتجسيده للفوغائية الخطابية قبل النكسة التي لم تكن ترتبط بواقع من التعبئة العملية لخوض المعركة :

اذا خسرنا الحرب لا غرابه
لاننا ندخلها بكل ما يملكه الشرقي من مواهب الخطابه
بالعنتريات التي ما قتلت ذبابه
لاننا ندخلها بمنطق الطبلة والربابه

كما حمل الشعب العربي بصورة نابضة بالاسى مسؤولية تفريطه بالوحدة واعطاء الفرصة للعدو للوثوب علينا مشتتين ممزقين :

لو أننا لم ندفن الوحدة في التراب
لو لم نمزق جلدها الطري بالحراب
لو بقيت بين الجفون والاهداب
لما استباحت دمنا الكلاب

واذا كان نزار قد حمل الجيل العربي مسؤولية الكارثة في بعض المقاطع فقد حمل محتكري الثروة في الوطن العربي مسؤوليتهم في عار النكسة :

كان بوسع نفطنا الدافق في الصحارى
ان يستحيل خنجراً من لهب ونار
لكنه واخجلة الاشراف من قريش
وخجلة الاحرار من أوس ومن نزار
يراق تحت أرجل الجواري

وفي مقطع آخر أعطى للعلاقة بين السلطة والفرد في الوطن العربي صورة حية طالما لمسها المواطن العربي في واقعه السياسي والفكري :

لو كان لي الامان
من عسكر السلطان
قلت له :
يا سيدي السلطان
كلابك المفترسات مزقت ردائي
ومخبروك دائما ورائي
عيونهم ورائي
انوفهم ورائي
كالقدر المحتوم كالقضاء
يستجوبون زوجتي
ويكتبون عندهم أسماء أصدقائي

وهذا النقد اللاذع للواقع العربي لم يكتشفه الشاعر بعد النكسة ولكن النكسة كانت بمثابة الفتيل الذي فجر شحنات السخط التي تجمعت في نفس الشاعر من خلال ثورته الدائبة على الواقع الذي يعيشه وعدم انسجامه مع مجتمعه فكريا وروحيا .

وبهذا المنطق ، منطق الانفصام عن واقع المجتمع وتحت ضغط جو النكبة المروع ، حكم نزار على جيل بأكمله بالاندحار ، وعقد أمل النصر على يد جيل الاطفال العرب الذين لم يلوثهم بعد نفاق الجيل الحاضر :

يا أيها الاطفال
من المحيط الى الخليج أنتم سنابل الآمال
أنتم بذور الخصب في حياتنا العقيمه
فأنتم الجيل الذي سيهزم الهزيمه

***

ولكن الشاعر لم يلبث أن افاق على صوت جديد لم يعتد سماعه ، صوت الصمود والاصالة والمعاناة وتحدي الظلم ، فتمسك بهذا الخيط فكانت قصيدته الثانية بعد النكسة « الى شعراء الارض المحتلة » . ونستطيع أن نتلمس الغربة القاتلة في نفس الشاعر وبحثه الدائب عن ومضات الصمود والامل من خلال لقائه مع شعراء المقاومة في الارض المحتلة واقتلاعه لنفسه من الواقع الادبي خارج فلسطين :

شعراء الارض المحتله
يا أجمل طير يأتينا من ليل الاسر
يا حزنا شفاف العينين نقيا مثل صلاة الفجر
يا شجر الورد النابت من أحشاء الجمر
يا مطرا يسقط رغم الظلم ورغم القهر
نتعلم كيف يغني الغارق من أعماق البئر
نتعلم كيف يسير على قدميه القبر
نتعلم كيف يكون الشعر

قريبا

دار الآداب تقدم

عددا من مجموعات الشعر الجديد

الجوع والقمر

للشاعر محمد عفيفي مطر

●

حديقة الشتاء

للشاعر محمد ابراهيم ابو سنة

●

نخلة الله

للشاعر حسب الشيخ جعفر

فلدينا قد مات الشعراء ومات الشعر

فهذا العناق الحار مع شعراء الارض المحتلة فرضته غربة الشاعر عن النقاء والاصالة والمجابهة التي لا تقهر والتي افتقدها حوله وسمع صداها قادما من الارض المحتلة :

شعراء الارض المحتله
يا ضوء الشمس الهارب من ثقب الابواب
يا قرع الطبل القادم من أعماق الغاب

ولكن نزار قباني في هذه القصيدة قد اشتط كثيرا عندما عمم تهمة الارتزاق والتمسح بأعتاب الحكام على الشعراء خارج الارض المحتلة ، وهذه تهمة باطلة أساسا . ويبدو ان نزار قد وقع تحت تأثير الهجوم الكاسح الذي قوبلت به قصيدة « هوامش » فتطرف في هذه القصيدة بأسلوب غير مقبول :

الشعر لدينا درويش يترنح في حلقات الذكر
والشاعر يعمل حوذيا لامير القصر
يمسح للحاكم معطفه ويصب له أقداح الخمر

ولكن مع سلبيات هذه القصيدة فهي تعطي صورة لنفس الشاعر التواقة للانعتاق من مستنقعات الزيف ومعانقة كل أصيل ، ولا أدل على بحث نزار عن كل بارقة أمل تخرج بالانسان العربي من أستسلامه، من انفتاحته الرائعة في قصيدة « فتح » على ملحمة البطولة التي يسطرها رجال المقاومة بالدم والرصاص :

يا فتح يا شاطئنا من بعد ما فقدنا
يا شمس نصف الليل لاحت بعدما ضجرنا
يا رعشة الربيع فينا بعدما يبسنا
حين قرأنا عنكم كل الذي قرأنا
خمسين قرنا بكم كبرنا

وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام ، وهي ان نزار لا يزال يائسا من أسلوب حياتنا وقدرته على مواجهة الاحداث والانتصار عليها ، وهو يحمل هذا اليأس حتى حين ينفتح أمامه طريق الخلاص على يد رجال فتح :

يا فتح مرت سنة
ولم يزل خنجر اسرائيل في ظهورنا
ولم نزل نبحث في الظلام عن قبورنا
ولم نزل نقعد من سنين
على رصيف الامم المتحده
نشحذ من لجانها الحليب والطحين
والذل والسردين والملابس المستعمله

وكما قلت في بداية هذه الكلمة فان « فتح » تمثل اللمسات الاخيرة للوحة واحدة بدأت بـ « هوامش على دفتر النكسة » فقصيدة « الى شعراء الارض المحتلة » ثم أخذت ملامحها الثابتة من خلال هذه الثلاثية بأكملها .

فاذا كانت « هوامش » انعكاسا لردود الفعل اليائسة وتجسيدا مروعا لسلبيات الواقع العربي واستعراضا لنقاط الضعف منفعلا فان قصيدة « الى شعراء الارض المحتلة » تعتبر تلمسا أوليا لنقاط الصمود والاستبسال والالتقاء معها وان كانت نقطا عزلاء لا تملك غير صوت الكلمة . وتأتي « فتح » لتكون تجسيدا حيا لرغبة الشاعر في تجاوز واقع الركون والانطلاق في طريق الثورة :

يا فتح يا حصاننا الجميلا
يحمل في غرته بيسان والجليلا
وغزة والقدس والطيور والحقولا
ويحمل البحار في نظرته ويحمل السهولا
يا ماءنا يا ثلجنا يا ظلنا الظليلا
يا طفلنا الذي انتظرنا وجهه طويلا

بغداد

شهيد عبد الله الحديثي

هذا الشهر

الكِفاحُ المُسَلّح

تأليف : دوغلاس هايد

ترجمة : سامي كعكي

كتاب هام وضعه رجل يعتبر حجة في حروب العصابات اذ أمضى سبع عشرة سنة متنقلا بين أوروبا وآسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية ، دارسا ومراقبا ومحاضرا ، ووقف على أبعاد نشاط العصابات الثورية في هذه البؤرات الملتهبة من العالم المعاصر . ومن فصول الكتاب : الكفاح التقليدي ـ الكفاح المقامرة ـ حتمية التغيير ـ البناء الثوري ـ التحضير لمعركة الكفاح المسلح ـ جذور الثورة والتربة الثورية ـ أبعاد الكفاح المسلح في العالم المعاصر .

كتاب جديد يحتاجه العرب في كفاحهم المسلح العادل لتحرير أرضهم .